مقياس: النظام التربوي الجزائري –السداسي السادس–

سنة ثالثة علم النفس التربوي.

المحاضرة الثالثة: المقاربات البيداغوجية في المنظومة التربوية الجزائرية:

تبنت المنظومة التربوية الجزائرية منذ الاستقلال وإلى يومنا هذا ثلاث مقاربات بيداغوجية شكلت كل منها مرحلة مفصلية في تاريخها، محاولة تحقيق ما تصبو إليه هذه المنظومة من أهداف وغايات. إن اختلاف المقاربات البيداغوجية وتطورها عبر تاريخ المدرسة الجزائرية، أمر أملته الظروف المحيطة بكل مقاربة وبخصائص كل مرحلة وما تمليه من حاجات تفرض على المدرسة ضرورة تجاوبها معها، وهو ما سعت وتسعى إليه المنظومة من أجل تطوير نوعية التعليم والتعلم.

ولكن قبل الحديث عن مختلف المقاربات البيداغوجية، لابد من تحديد دقيق لمصطلحي المقاربة والبيداغوجيا ومجال استخدامهما، ذلك أن الكثير من المهتمين بالشأن التربوي سواء كانوا طلبة أو باحثين يخلطون في استخدامها.

1– تحديد المفاهيم:

مفهوم المقاربة:

لغة: مقاربة– مفرد، مصدر قارب، نقول عالج الموضوع بمقاربة منطقية، أي إشارة لكيفية معالجة الموضوع، ونقول قارب فلان فلانا إذا داناه.

اصطلاحا: المقاربة هي تصور وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز اعتمادا على خطة تأخذ في الحسبان كل العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعال الذي يؤدي إلى بناء الكفاءة أو تحقيق الهدف.

–كذلك نقول بأن المقاربة هي" إطار تحليلي يؤخذ كأساس عند تحليل أي ظاهرة".

مفهوم البيداغوجيا:

البيداغوجيا كلمة يونانية تتكون من مقطعين الأول (Peda– بيدا) وتعني الطفل و (Gogie– غوجي) وتعني القيادة والتوجيه.

فالبيداغوجي عند اليونان هو الشخص الذي يكلف بمرافقة ومراقبة الأطفال عند خروجهم للتكوين أو النزهة.

كما تعني بمفهومها الشامل: علوم التربية التي تتحكم في العلاقة بين المعلم والمتعلم بمعنى القيادة والتوجيه وتعمل على تحقيق أهداف متنوعة منها ما يتعلق بـ:

–المناهج الدراسية: تسعى البيداغوجيا إلى تطوير المحتويات المعرفية والمناهج الدراسية بما يتلاءم والغايات والأهداف.

–طرق وأساليب التدريس: اختيار أنجع الوسائل والاستراتيجيات التي تسمح بتحقيق الأهداف الموضوعة.

–تنسيق العلاقة بين مختلف أقطاب العملية التربوية من خلال تحديد المهام المتصلة بجميع الأطراف معلم، متعلم، مدير...

–التقييم المدرسي: من حيث إيجاد أفضل وأنجع طرق التقييم.

–أهداف تتعلق بالإنتاجية كالسعي إلى الحد من ظاهرة الفشل المدرسي وتطوير نوعية التدريس.

–أهداف ذات طابع تربوي: أي دراسة شخصية المتعلم بجميع أبعادها وإكسابه القدرة على التفاعل والتكيف.

مفهوم المقاربة البيداغوجية: هي تصور ناظم لممارسات التعليم وأنشطة التعلم والتقييم، أي أنها الإطار أو المرجع الذي ينظم ويوجه العملية التربوية، حيث يوجهها ويحدد اختياراتها، فمن خلالها يتم صياغة المناهج التعليمية للمواد المختلفة.

كما يمكن تعريفها على أنها: تصور يربط على نحو نسقي بين التوجهات التربوية المؤطرة للبرامج والمناهج والناظمة لمكونات العملية التربوية وغاياتها ووسائلها ...

نستنتج مما سبق بأن المقاربة البيداغوجية هي جزء من السياسة التربوية لأنها تتضمن تصورا لسير وتنظيم العملية التعليمية التعلمية.

أما البيداغوجيا فهي ذلك الإطار النظري الذي يخدم المقاربة، سواء كان هذا الإطار عبارة عن تقنيات أو طرق أو نماذج، فعندما نقول لمقاربة بالكفاءات، فإن هناك مجموعة من البيداغوجيات التي تخدم هذه المقاربة منها بيداغوجيا حل المشكلات، البيداغوجيا الفارقية، بيداغوجيا الإدماج...

2- المقاربات البيداغوجية في النظام التربوي الجزائري: سبق وأن ذكرنا بأن المقاربات التي تبناها النظام التربوي الجزائري هي ثلاثة مقاربات، كما أن كل واحدة منها نمت وتطورت وتجددن أيضا من خلال تأثرها بالمقاربات التي سبقتها واكتشاف نقاط الضعف والقوة فيها مما يستدعي البحث عن مقاربة بديلة أو مكملة لهذا النقص حتى تحقق العملية التربوية أهدافها

2-1 المقاربة بالمضامين: أول مقاربة تبناها النظام التربوي بعد الاستقلال هي المقاربة بالمحتويات أو المضامين، وهي مقاربة تقوم على تبليغ المضامين المعرفية وشحنها في ذهن المتعلم، ويتم اللجوء إليها وقت الحاجة.

2-1-1 خصائصها:

-اعتمادها على أسلوب التلقين والإلقاء والمحاضرات.

-الأستاذ هو المصدر الوحيد للمعرفة والمالك لها، ينظمها ويقدمها للمتعلم.

-المتعلم متلق سلبي للمعلومات يخزنها ويحفظها ويسترجعها وقت الامتحان.

-التواصل بين المعلم والمتعلم تواصل عمودي وهذا نتيجة لخاصية ملكية المعرفة لدى المعلم وحريته في تنظيمها وإيصالها للمتعلم.

-وسائل التعليم المعتمدة بسيطة وتتماشى وطبيعة المرحلة وإمكاناتها مثل السبورة، الطبشور... والتي مازال العمل بها قائما.

-أسلوب التقويم يعتمد على استظهار المعلومات التي اكتسبها المتعلم.

2-1-2 إيجابياتها:

-الطرح البيداغوجي القائم على التلقين والاسترجاع والحفظ مكن ويمكن التلميذ من حيازة معارف شفوية تضمن له سلامة لغته وصحة انتماءه لها.

-تتناسب مع عدد من المواد والمواضيع العلمية والإنسانية والتي يتم اكتساب المعرفة عن طريقها.

-تلاؤمها مع مرحلة مفصلية من تاريخ النظام التربوي الجزائري، والتي كان الهدف منها التعليم من أجل المعرفة فقط.

2-1-3سلبياتها:

-تركيزها على المعرفة في بعدها الكمي لا الكيفي.

-تركيزها على البعد المعرفي للمتعلم أكثر من البعد النفسي والاجتماعي، حيث لا تراعي الفروق النفسية والاجتماعية الموجودة بين التلاميذ.

- تستهلك الوقت والجهد وهذا راجع إلى الأساليب والوسائل المعتمدة فيها والتي تؤثر في فعالية التعلم.

-محدودية نتائجها في تكوين شخصية قادرة على الإبداع، ففي أساليبها تدريب على السلبية والاتكالية، وإضعاف لقدرة المتعلم على الفهم والتحليل والاستنتاج والتفكير الإيجابي أيضا.

2-2 المقاربة بالأهداف: سبق وأن ذكرنا بأن المقاربة التي تبنتها أو سارت عليها تصورات المنظومة التربوية غداة الاستقلال، هي المقاربة بالمحتوى، وأن هذه الأخيرة قد تلاءمت مع الظروف التي عايشها الشعب الجزائري في تلك الفترة، أين كان أبناء هذا الشعب متحمسين للالتحاق بالمدرسة وطلب العلم والمعرفة، والتي لم تكن منظمة بالطريقة التي تمكن من تحقيق أهداف يمكن قياسها، وذلك لاختلاف طرق تقديم المعرفة، وإلى عدم انتظام هذه الطرق وخاصة في بداية المرحلة، ونظرا لمحدودية نتائج هذه المقاربة وعدم قدرتها على تحقيق الأهداف المرجوة من التربية، دعت الحاجة إلى تطويرها بمقاربة بديلة تجعل لممارسات التعليم والتعلم

وأنشطته أهدافا، وهي المقاربة بالأهداف، والتي تعتمد على مفهوم الهدف كأداء قابل للقياس عندما يصاغ بطريقة إجرائية (فعل سلوكي).

إن تبني النظام التربوي الجزائري للمدرسة الأساسية والتي جعلت التعليم أكثر تنظيما، أدى به إلى ضرورة تبني إطار مرجعي مناسب لتسيير الممارسات التعليمية بها، فكانت المقاربة بالأهداف والتي استمر تطبيقها لفترة طويلة من عمر المدرسة الجزائرية، مما يعكس تجاوب القائمين عليها ووعيهم بضرورة تحديد هدف لكل نشاط تعلمي بشكل دقيق.

2-2-1 خصائص المقاربة بالأهداف:

-ترجمة محتويات الدرس إلى أهداف ووضع خطط دقيقة لتحقيقها.

-تصنيف الأهداف إلى معارف ومهارات ومواقف.

-التركيز على ضرورة تحديد هدف لكل نشاط تعلمي بشكل دقيق (منفصل)، من خلال تفكيك موضوع التعلم إلى وحدات جزئية متدرجة من حيث التعقيد.

-يعد المعلم وفق هذه المقاربة العنصر الأساسي في عملية التعليم والتعلم، أي أنه يحدد هدف كل نشاط ومؤشرات تعلمه، ويقرر إن كان قد تحقق أم لا.

-اعتماد المرجعية السلوكية والمتمثلة أساسا في سلوكية واطسون وسكنر (مثير-استجابة-تعزيز)، إذ يتم تنظيم الممارسات التعليمية التعلمية وإخضاعها للملاحظة والتجزيء في ما يعرف بأهداف التعلم التي تتحدد بمقتضاها الخطوات الواجب على المتعلم اتباعها.

2-2 -2 إيجابياتها:

-التخطيط الجيد للدرس يساهم في حسن تسير وتنظيم الزمن المدرسي المخصص للتعلّمات المختلفة والمقررات الدراسية، ومن ثمة فقد تجاوزت هذه المقاربة الطريقة التقليدية (المضامين) التي اتسمت بالعفوية والارتجال والعشوائية في التلقين وعدم احترامها للوقت.

- التعزيز الفوري لاستجابات المتعلم، مما يجعلنا نستنتج بأن للمقاربة بالأهداف دور فعال في تنشيط وتفعيل عملية التعلم.

- إن المقاربة بالأهداف هي جزء من المقاربة بالكفاءات، لأننا لازلنا نقوم بتحديد هدف لكل مرحلة تعليمية أو لكل مقطع تعلمي، وبذلك تكون المقاربة بالكفاءات تكملة وتتمة للمقاربة بالأهداف وليس استبدالا لها، وبالتالي لا يمكن القول بوجود قطيعة ابستمولوجية ولا قطيعة تطبيقية بين المقاربتين.

- المقاربة بالأهداف تنطلق من السؤال المتعلق بـ: كيف نحقق الهدف؟ ولأي هدف نتعلم؟، على عكس المقاربة السابقة التي تنطلق من السؤال: ماذا نتعلم؟ مما يجعل للتعلم معنى وهدف.

2-2-3 سلبياتها:

- عجزها عن مسايرة التطورات الحاصلة في العالم وفي محيط المتعلم (سوق العمل مثلا).

- تقسيمها الجزيئي للأهداف التعليمية يحول دون تحقيق نظرة تكاملية للأهداف، وهذه الأخيرة هي ما جاءت به المقاربة الجديدة التي تهدف إلى تحقيق الكفاءة لدى المتعلم.

- اعتمادها على جهد المعلم أكثر من نشاط المتعلم مما يحدّ من إبداع هذا الأخير ومن قدرته على التعامل مع مواقف مشابهة لما حققه مسبقا، وهذا راجع إلى مرجعيتها السلوكية، التي لا تعطي للعمليات العقلية والذهنية والإمكانات الإبداعية للمتعلم الفرصة لتحقيق الأهداف بشكل أكثر فاعلية

* ما يمكن الإشارة إليه في هذا الإطار والتأكيد على وجوده هو عدم التخلي النهائي على المقاربة التقليدية القائمة على التلقين، فمقاربة الكفاءات تصور مكمل ومتمم للمقاربات البيداغوجية السابقة وليست بديلا عنها، فثمة مقاطع تعلمية أو حتى مواد دراسية تناسبها المقاربات الكلاسيكية، أي أن الهدف من العملية التعليمية يتحقق بشكل أكثر فاعلية منه باستخدام المقاربة

بالكفاءات، كما أن التحديد الإجرائي للأهداف التعليمية هو جزء متكامل مع تحديد الكفاءة التي ترنو المقاربة الحديثة إلى تحقيقها.

2-3 المقاربة بالكفاءات:

2-3-1 مفهوم الكفاءة والمفاهيم المرتبطة بها:

-الكفاءة: "هي القدرة على تجنيد أو تعبئة أو استدعاء موارد وخبرات (معرفية، حس حركية، ووجدانية) لحل مشكلة".

ويعرفها محمد الدّريج:" هي التوافق مع جميع الوضعيات، إنها الاستعداد لحسم الدراية والمعرفة".

-القدرة: حسب ما جاء في معجم علم النفس وعلوم التربية:" هي القوة التي تمكن الفرد من أداء فعل جسمي أوعقلي".

كما يشير عبد الكريم غريب إلى أن مفهوم القدرة عادة ما يكون مرتبطا بمفهوم الكفاءة.

-الاستعداد: "هو الإمكانات الطبيعية والمكتسبة التي يتوفر عليها الفرد وتمكنه من القيام ببعض المهام".

-المهارة: هدف من أهداف التعلم، تشمل قدرة وكفاءة الأفراد المتعلمين على أداء مهام معينة بشكل دقيق".

- الأداء: " إنجاز يتم باستخدام الفرد لإمكاناته المتنوعة، أو هو النتائج التي يبلغها المتعلم حسب معايير محددة للإنجاز، وقد تكون محددة في شكل سلوكيات قابلة للملاحظة والقياس".

-الهدف التربوي: "سلوك قابل للملاحظة ناتج عن عملية التعلم، يشمل مختلف أبعاد شخصية المتعلم، وينبئنا بقدرة المتعلم على حل مشكلة تعلمية".(الهدف هنا يشمل مفهوم الأداء الذي يكون قابلا للملاحظة).

الفرق بين الهدف والكفاءة: من خلال التعريف المتعلق بهذين المصطلحين والمتعلقين بالمقاربة السابقة والمقاربة بالكفاءات، يتبين لنا بأن الهدف يتعلق بالنجاح في المدرسة (الاهتمام بالسلوك الخارجي للمتعلم)، أما مفهوم الكفاءة، فيمتد إلى خارج المدرسة، حيث يكون التلميذ قادرا على توظيف مكتسباته وخبراته في وضعيات طارئة ومعقدة (الاهتمام بالسلوك الداخلي للمتعلم).

2-3-2 مفهوم المقاربة بالكفاءات: "هي تصور بيداغوجي يتبنى استراتيجية تربوية تسعى إلى تنمية قدرات المتعلم وكفاءته بحيث يصبح قادرا على توظيفها في وضعيات تعلمية مشابهة، بمعنى أن الهدف من التعلم ليس اكتساب المعارف التي تسهم في حل مشكلة تعلمية بل هو القدرة على حسن استثمار المعارف والموارد في مواقف حياتية مشابهة (الهدف هو اكتساب الكفاءة)".

تعريف آخر: هي مقاربة بيداغوجية ترتكز على الكشف عن القدرات الكامنة لدى المتعلم، والعمل على تنميتها وتوظيفها في بناء الكفاءات التي يحتاجها في حياته اليومية.

2-3-3 دواعي تبني المنظومة التربوية الجزائرية للمقاربة بالكفاءات: تسعى المجتمعات اليوم على مختلف مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية إلى تحقيق تنمية شاملة تقودها سياسيات رشيدة تتجسد في نظمها المختلفة ومنها النظام التربوي، والجزائر على غرار هذه المجتمعات، وجدت نفسها بنظامها التربوي المتبع، وبتوجهاتها وخياراتها البيداغوجية خاصة، عاجزة عن تحقيق التنمية المرجوة في المتعلم بالدرجة الأولى، فالانفجار المعرفي وتطور وسائل التعلم والانفتاح الاقتصادي وغيرها من التطورات التي تحدث هنا وهناك، استوجب عليها ضرورة إعادة النظر في فلسفتها التعليمية، وخاصة الممارسات التعليمية التي لم تعد قادرة على تلبية متطلبات المجتمع، حاجات سوق العمل، حاجات المتعلم أيضا، مما خلق نوعا من عدم التلاؤم بين مخرجات هذا النظام ومتطلبات المحيط الذي يتواجد به فالمعرفة تتجدد وتتطور باستمرار، ونجاح المتعلم يكمن في القدرة على استثمار ماتعلمه لمجابهة هذه التطورات

والتحديات، من هنا كان لزاما على القائمين على هذا النظام تبني هذا البعد في تصورات الممارسة التعليمية التعلمية وهي المقاربة بالكفاءات.

2-3-4خصائص المقاربة بالكفاءات:

- المتعلم هو محور العملية التعليمية.
- المعلم موجه ومرشد ووسيط بين المعرفة والمتعلم.
- واقعية التعلمات: أي أنها تعطي معنى للتعلمات، فالهدف منها ليس اكتساب المعرفة فحسب وإنما تصبح الوضعيات التعلمية التي اشتغل عليها المدرس، نماذج للاشتغال عليها في الواقع.(أي ربط التعلمات في المدرسة بالواقع اليومي).
- التعلمات السابقة أساس لبناء تعلمات جديدة، ولذا فإن شعارها هو التعلم مدى الحياة (أي أن الموارد السابقة نحتاجها دائما لبناء موارد جديدة).
- اعتمادها على نشاط المتعلم أكثر، يؤدي إلى تطوير عمليات التفكير والإبداع في الوضعيات التعليمية المختلفة.
- النظرة التكاملية لنواتج التعلم.
- تنويع أساليب وطرق التدريس وتجاوز البيداغوجيات التقليدية.
- تسعى إلى إعداد متعلمين يتجاوبون مع متطلبات سوق العمل.
- اعتماد الوضعيات لبناء الكفاءات: فالتقويم لم يعد ينجز من خلال أسئلة مباشرة، وإنما من خلال وضعيات جديدة مشابهة لتلك التي اشتغل عليها في الحصص الدراسية.
- كذلك التقويم وفق هذه المقاربة، هو نشاط ملازم للعملية التعليمية يتم قبل وأثناء وعقب كل درس وكل نشاط تربوي هادف.
- النظرة الإيجابية نحو الخطأ الذي يرتكب من طرف المتعلم أثناء نشاطه التعلّمي، وضرورة استثماره لتشخيص أسبابه ومعالجته، واستخدامه في تحديد وبناء أهداف تربوية ضمن نشاطات تعليمية مستقبلية، وبذلك تساعد المتعلم على تجاوز أخطائه.
- الأسس النظرية لهذه المقاربة: تقوم أساسا على النظرية المعرفية والبنائية والسوسيوبنائية.